الشعر العراقي في المنفى .. أجنحة لا تتعب

إنها ليست المرة الأولى التي نفتح بها الحديث عن الشعر العراقي ، هنالك دائماً ما هو جديد في جسد القصيدة العراقية ، ضوء مغاير وحزن محترف . قد تكون بعض التجارب التي سنستعرضها تجارب مظلومة ، لكنها بكل تأكيد تجارب تدفع بجدران أرواحنا نحوها ، وتشهق بدموعها . منذ سنوات طويلة والشعر العراقي مُقسم إلى شعر المنفى وشعر الداخل . فعدد شعراء العراق في المنفى لا يحصى ، وقصائدهم كقطرات المطر ينفذون من بينها كما تتمنى راقصة الباليه أن تفعل . من الواضح للكثيرين أن التجربة العراقية تحمل عناصر أساسية فيما ترسمه لنا من إبداع ، المكان الذي لا يختفي ، الحنين ، والحالة الإنسانية المتفشية بين ضلوع النص .

رعد عبد القادر

سركون بولص

عدنان الصائغ

(٢-١)

إعداد وتقديم : منى كريم

مقدمة :

" يجهد لكي يبتكر دمعةً " -
الآن بوسكيه

هنالك من يستل شاعريته من اللغة وهنالك من يتخذ اللغة جسراً لإيصال فكرته إلى الآخر، فكرته التي يحاول الارتقاء بها بحيث تصبح أكثر كونية بدلالات متسعة . لا شك في أن هنالك فرضيات كثيرة تجعل من تجربة العراقي مختلفة، ذات أنفاس مغايرة، فهو يحمل شخوصه وذاكرته وأحلامه وخطاياه ويقدمها محاطة بومضات ساطعة. أكثر ما يميز التجربة العراقية الحديثة أنها بشكل تدريجي تتخلص من الخطابية العالية، إنها تطبق آلية رامبو:" الأنا هي الآخر "، هؤلاء الشعراء يرون في تجاربهم ومنفاهم معادلة متساوية مع كل شخص يشابههم في أي مكان من هذا العالم الضيق كحذاء كما يراه هؤلاء .. هؤلاء، أبناء الوطن والمنفى في آن واحد .

كل شاعر هنا لا يطرح نفسه باعتباره صاحب صفة خاصة، بل باعتباره صاحب صفة عامة وكونية تسحب الشعر نحو مساحة أكثر رحابة بحيث يتحقق الشرط الإنساني الذي لطالما سعى الشعراء له من دون تحقيقه، فهنا يكسر كل من هؤلاء الشعراء الفكرة الكلاسيكية التي تقدس مكانة الشعر ويستبدلونها بأنهم شعراء أي - بكل بساطة - بشر بقلوب لا تحتاج إلى فلسفات ميتة في علاقاتها بل إلى أفكار تعيد لكل شيء رونقه وأمله من دون أن يكونوا أصحاب خطابات تفاؤلية، بل عبر تحويل المأساة إلى ما هو ناصع، الشاعر منهم هو إنسان متشائل بمعنى الكلمة، وكأنهم بذلك يستنكرون الشعر الشكلاني ذلك الذي لا يضع يده على الباطني والحقيقي وتأثيراته، ويعيبونه بأنه لا يملك صفة الحياة .

ما يتم طرحه هنا، لا ينتج من الشعر، هنا لا يلد الشعرُ شعراً، بل إنه الإنسان وأحلامه الكثيرة يلد لنا الشعر، لم يعد أمامنا الكثير من الخيارات في أن نجزم بتأثر هذا أو ذاك بشاعر(ة) ما، لأن الانطلاق خرج عن نوافذ النصوص القابعة في راحة اليد .

لقد لاحظت في نصوص هؤلاء الشعراء طغيان مفردات معينة، وهذه حمى متفشية في الكثير من التجارب العراقية والعربية والعالمية، فها هي التجربة السبعينية في العراق تجربة مذابة في نفسها (استثني من ذلك تجربة " جماعة كركوك ") وتشعر بوحدة بين ما يكتبه الشعراء من حيث الموضوع والتوظيف والرؤية، ما يجعل الخصوصية والتفرد من الخصال النادرة لدى الجيل السبعيني إلا بعد تطور تجاربهم كما نراها حالياً .

إن لهذه المفردات أو القاموس الشخصي لهؤلاء الشعراء - أقصد لشعراء هذا الملف - نفساً ما ولمسة معينة، هي لمسة المنفى، فهم في مفرداتهم يطرحون دلالات العودة والحنين والانقسام الذي يعيشونه بين بيئة اليوم وبيئة الأمس، بين الذاكرة والآنية، والأكثر صعوبة من ذلك الحيرة أمام ما سيكون في المستقبل . بعضهم يتميز بتوظيف الميثولوجي، وبعضهم يقوم بإقصاء كل ما هو بسيط ويومي عن حياته للتدليل على قسوة المعاناة وعجز اللغة أمامها (الكلام المقدس يهرب أمام الأحجار - هارت كرين) . وهذا ما يفعله الشاعر موفق السواد بالضبط، إن أكثر الملاحظات التي تثيرها في ذهنك قصائد موفق السواد، هي مفردات هذا الشاعر، إنه يجعل من تنفسه وحديثه حالات من الصعب تحقيقها، دائما يكرر كلمة هواء ومشاهد تساقط الإنسان في أدنى مطالبه اليومية، ما يراكم في روح المتلقي أسى وتآلفاً حميماً مع هذا الشاعر ونصوصه . إنه يعرض روحه بلا ملاحم لغوية وزحمة مفتعلة في استخدام الصور، بل إنه يتجرد من البلاغة والزخرفة ليصل إلى توافق وتآلف بين حالته الإنسانية وركيزتي الوضوح والبساطة . موفق السواد من الشعراء القلة الذين توصلوا إلى لغة وسطية، لغة أصفها بالديمقراطية - وديمقراطية القصيدة هنا صفة أطلقها عباس بيضون على الشاعر العراقي الراحل رعد عبد القادر - والمشاعية فهي لا تتحاور مع النخبة ولا تتطلب من المتلقي الكثير من العناء، بل تحس بدلالاتها تلقائيا ودونما تعقيد، قد تترك نصوص هذا الشاعر بعض الحيرة والأزمة مع الذات، لكننا حين نتأمل ما تحمله من بنية وقدرة على السرد وتلاحق المشاهد بموسيقي داخلية نصل لنتيجة بسيطة، نتيجة تفهمنا أن هذه القصائد ليست سوى حلم مزدحم بحيوات كثيرة . تجد في بعض نصوص الشاعر بنية مختلفة عن بنية أخرى في نصوص غيرها، أحياناً يبدأ بقوة وينساب ببطء كأنه يحول الحالة الشعرية إلى صوت وصدى، وأحياناً أخرى يختار البنية التي تُدهش القارئ في بدايتها أو نهايتها، موفق يتقصد بشكل لا أعرف كيف أحلله صنع وحدة موضوعية للنص، رغم أنك قد تجد في عناوين قصائده فقط شعرية عالية وإنسانية (مثال : سيناريو صغير لحلم، مشنقة اللغة، عزلة الكلام، أنا العابر هي المدينة الخ ..) بعض هذه العناوين تحيلك إلى استكمالها بالكثير من الأشياء، وبعضها يكتفي بترك أثر فنتازي . وهنا أعود مرة أخرى إلى قاموس هذا الشاعر، فأنا بكل صراحة لا أجد في قاموسه إحالات عراقية، لأنه لا يستخدم الميثولوجيا، كما لا يحب استخدام مفردات يشعر البعض أنها أصبحت ملكاً لشاعر ما، إنه يترك للقصيدة أن تكون مشاعة للجميع، الجميع الذي من ضمنه العراقي ومعاناته، بعيداً عن الاحتكار والمراثي التي يطلقها البعض من كونهم غرباء عما حولهم، وبهذا الشكل أجد في هذا الشاعر كما ذكرت مسبقاً شاعراً ديمقراطياً .

" كأن لا هواء هناك لا ضوء / سوى غابة ضائعة / ومنذ أمد بعيد / راحت تمسح الغبار / عن مصاطب عشاقها "

ومن منطلق التحول من الوهم إلى الحقيقي في نافذة النص الشعري ينطلق الشاعر شعلان شريف ويقوم كما وصفته ذات مرة بحمل خيمته على ظهره واختراع نص يتسع للمجانين والغجر، شعلان جسد يتلوى بين المشاهد التي رآها في طفولته وبين ما تعلق به من أساطير وموروث وتراكم معرفي يرى أنه من الجدير توظيفه في النص، إنه يحيلنا إلى طقس أسطوري في تشابكاته ودوائره، طقس يُقدم الإنسان العراقي وما يواجهه من أحداث، حينها تصبح التعابير والأصوات متشابهة، بحيث لا نلتمس أية ملامح زمكانية، ولعل أكثر ما يثير في هذه المحاكاة بين الإنسان القديم والحديث هو النزعة إلى تجريد الشعر من أية اتجاهات عبثية بل ويقتصر على ما يكون في عمق الحالة الوجودية، الحالة التي لا يكون التعبير عنها سوى عبر الاختزال الفلسفي للمعاني اليومية وطرح الأسئلة الموجعة لحساب الفكرة . إن هذا الشاعر ينُصب نفسه امتدادا لما تحمله الميثولوجيا ويتبع الطريقة القديمة الموجودة في الأساطير فيجعل من نفسه رساماً مغيباً للوحة لا يخصها في مواضيع غربته، بل يجعلها تتلاقى مع التجربة المجسدة في تقاسيم أكثر شمولية .

" لن أضحكَ بعدَ الآن لن أبكي..لنْ أرفعَ الصخرةَ لن أدعَها تتدحرجْ "

نصل الآن إلى الشاعر جمال مصطفى، وهو شاعر مقيم في الدنمرك، تجربة هذا الشاعر من التجارب المظلومة، فبعض شعرائنا تم إنصافهم من قبل النقاد أو الأضواء المسلطة عليهم، وإن لم يكن فأن كتابتهم بلغة أجنبية جعلت الدول التي يعيشون فيها تهتم بهم خاصة أنها دول أوروبية تتعامل مع المبدعين بشكل راقٍ ومشجع، بينما نجد أن جمال مصطفى على رغم عراقة تجربته لكنها تجربة مظلومة بحق . جمال مصطفى شاعر عصامي ومرن لكنه في الوقت نفسه لا يستطيع أن يتعامل بسلاسة مع القصيدة، فهو قليل الإنتاج كما أخبرني ذات مرة، فقد تمر عليه أشهر طويلة من دون أن يكتب قصيدة، وبذلك يعطي للشعر مكانة ضخمة وتقديراً يعتقد أنه من اللازم لكل شاعر أن يؤمن به .

أجمل ما يميز جمال مصطفى في قصائده التي نشرها عبر الانترنت ووضع لها عنواناً رئيساً : " مختارات " ، أنها كانت قصائد مكثفة في رؤيتها وتدور حول فكرة معينة ويتلمسها المتلقي في الظلمة الهادئة، إنه يضع قفزات قليلة ومحددة لحركة نصه، سرداً مختزلاً ومخفياً وتفاصيل تدلك إلى الطريق الذي يسير فيه النص . جمال لا يستخدم كثيرا ملموسات وأشياء الإنسان، بقدر ما يحاول أن يبحث في الطبيعة والكائنات الصغيرة، فهو يرى فيها ما يوصل إلى باطن الأشياء وباطن أحاسيسه، إن توظيفه لما يراه من حوله تركز على أشياء نشعر بأن قصيدة النثر أو التجارب الجديدة ألغت وجودها، فتركز التجربة الشعرية الحديثة على فكرة كونية الإنسان، جعلت الشاعر يتحول للحديث عن الإنسان وحباله ويومياته، دون الالتفات لغير ذلك بسبب تراه التجارب الحديثة أن ما هو في الطبيعة العادية مجرد أشياء مستهلكة من قبل التجارب الكلاسيكية . جمال مصطفى يرفض هذا المنهج إنه يوظف هذا المسمى بالمستهلك بطريقة جديدة، يجعل لقصائده القصيرة - والتي قد تتكون أحياناً من ٣ سطور فقط - مركبا يحتوي مفردات غير محتكرة وتكتشف أنه بكل سهولة يكتب قصيدة ومضة، قصيدة ليست له فهو يكتب نصفها ويجعل النصف الآخر للمتلقي ليكمله بأفكاره . مع جمال مصطفى لا تستطيع أن تضع بعد قصيدة نقطة انتهاء .

" قصيدة الهاوية : عارية على الجبل قرطها شجيرة وقفازها سنجاب "

وفي قصيدة " محنة الحمام " لـ كريم ناصر نشعر بأن الصور الشعرية تصبح مشلولة مقابل المعاناة الإنسانية، لقد وضعنا الشاعر منذ البدء في طريق ما، طريق مقصوص، فيجعل من الجملة التالية جملة غير متوقعة، كريم يستخدم تقنية معينة تجعله أيلاً في بداية النص، والشارع سكينا تفتق حذاءه، بينما الوطن طفل مقصوص الجناح في الشارع . غالباً ما أجد في نصوص كريم ناصر محاولة لصنع عتبة واضحة تعطي إحساساً للمتلقي بوجود حدث قديم وحدث مستمر - رغم أن الحديث هنا عن الحدث لا يأخذ منحى زمنياً بل منحى محسوساً -، وذلك عبر آلية الاسترجاع والتي تتم بشكل غير مباشر في النص، فهوان لم يتعمد التطرق إلى إرث ما لكن بنية بعض الجمل المقسمة بين اللغة والمخيلة توحي لك بارتباط ما مع ما هومخزن في الروح والذاكرة . إن قصيدة " محنة الحمام " تُبين خصوصية كريم ناصر التي تعطي للأشياء تحليقاً إضافياً في نصه، هذا بالإضافة إلى حرصه على أن لا يفقد ترتيب وجوده بما هو مفتعل ومقحم في النص . ولعل هذا النص في سرديته لا يحاول أن يحط عند نقطة معينة، رغم ارتباط جوه العام بحبل سري، إلا أنه يسلك عدة طرق في تكويناته للصور، تكوينات غريبة تحول من المفردات التالية : " الأرض / الصيف / الطريق / المطر" شخوصاً خصوصية أرى أنها تمثل ما يريد الشاعر أن يعبر بها عن قسوة الحياة ورهبتها .

وإذا كان الشاعر ارتكب فعلاً انتقالياً حيث يتحدث عنهم، ثم ينتقل للتحدث عنه، لكنه بدا لي أنه يقوم بأفعال إزاحة للواقع والحضور، فهو في تنقله هذا بين الآخرين والأنا تجاوز كل ما سبق للتأكيد على صرخته المدونة في النص . وأظن أن القراءة المتجددة لنصوص هذا الشاعر تمنحنا رصداً لأسلوبه المفتوح على الأسئلة ومناطق جديدة تنتظر من يستنفذها .

" الفلاح الذي بجوارنا صرخ من شدة الألم / لأن المطر تأخر عن الهطلان / لماذا رقص البستاني في حظيرة الإبل ؟ / لماذا يعرقل الصيف المرعى؟ "

أما عدنان الصائغ فإنه يتحرك بعدة اتجاهات، إنه يرسم المشهد بحواسه، ويكتسب الرؤية عبرها، ومن ثم يمنحها دروباً واسعة وجديدة . الصائغ يكون لنفسه خطوات جديدة نحو إنسانيته، حيث القصيدة جسد لنثر الأحزان العراقية وأفراحها القليلة . الشاعر يغمر موسيقية القصيدة الخافتة بأسئلة مريرة وملطخة بالحنين . إنه يضطر في منفاه لاستخراج جمالية تعشق الوطن وترسخها بدبابيس غريبة بحق، غريبة في معناها وإيحائها . عدنان يرى كل ما حوله بأنه حديث الولادة، يمسح الغبار عنه ويطوف حوله . إنه يحفر لفعل الآنية، للقلق الذي تراكمه الساعات، وعلى الرغم من أن الصائغ من شعراء السبعينيات الذين أسسوا لأدب حرب بشعرية مختلفة ومثال على ذلك تجاربه العديدة (ديوان : سماء في خوذة) إلا أنك تشعر بأنه لم يسمع ذات يوم كلمة موت، إنها كلمة حميمية بالنسبة لقاموس الشاعر لكنه في الوقت ذاته يركلها لغرابتها، يركلها بلطف، فتشعر بكل بساطة أنه تميز عن هذه التقاليد الشعرية التي تحرص بشدة على تقديس الموت والتحاور معه برتابة وهوس، الصائغ يلتقط حبال الوطن ويعلق عليها مفاجعه وأيامه الملوثة بطين المنفى، إنه يصلب هذه الحبال دونما انقطاع، يصلبها لأنها حزنت أكثر من اللازم . عدنان يسمح لقصائده أن تمارس فنتازيتها عبر ما يتاح له من منافذ حتى وإن تغيرت المجريات الواقعية لذاكرته فإنه يرشح ذلك لاحتمالات توظيف كل ما حوله وصنع ثورة في النص تعتمد بشكل كبير على الشعر المستنبط من اللغة واللعبة الدرامية التي تهز المخيلة وهذا واضح عبر قصيدته المطولة "نشيد أوروك" التي عبر استخدامها لعدة أساليب في الكتابة الشعرية كتبت سيرة للحرب والوطن بشكل مكثف وحاد ومكتظ بالصور الواخزة لدرجة استنطاق الأشياء، وكأنه يقود قصائده إلى اللذة أو للألم حسب ما تتطلبه الحالة، قصائد هذا الشاعر تغرز أظافرها في قلبك، تُصبح مدهشة وجريئة ونادرة . لقد كان هذا الشاعر في بداية تكوين تجربته متأثرا بقصائد سعدي يوسف والبياتي ودرويش وبابلونيرودا، لكنه الآن يحاول بقدر المستطاع أن يكون عدنان الصائغ فقط الواقف تحت قوس الحرية .

" من قالَ أن الفرحَ طائرٌ قلقٌ / لا يستقرُ على غصنٍ، / ها هو غصنُ حياتي / ممتلئٌ بالعصافير الميتة " .

هُوَ الّذي لمْ يَرَ شيئاً

شعلان شريف

إلى: صالح &دينيكا

أهبط
عميقاً .. عميقاً
لامسِ القعرَ بقدميكَ
ثم عدْ إلينا
نكافئكَ بالغفران
أو نعاقبكَ بالشفقة
لا تخبرنا عما رأيتَ
سنقولُ:
هبطَ ..
عميقاً .. عميقاً
لامسَ القعرَ بقدميهِ
ثم عادَ إلينا
.... لم يرَ شيئاً!
❖ ❖ ❖
هل كنتُ عارياً بالفعل
أم هي الخمرة؟
هل تطلعتُ في مرآة
أم هي عيون الغرباءِ؟
.....
❖ ❖ ❖
هناكَ أيضاً
حينَ هبطتُ في بئرٍ قديمةٍ
كنتُ دفنتُ فيها ضحيتي
التمعتْ عيونُ الغرباءِ
مثلَ عملةٍ قديمة
تفضحُ صاحبها في السوق
مثلَ خاتمٍ ذهبي
يسقطُ من جيبِ اللصِ
عيونُ الغرباءِ التمعتْ
فأفسدتْ عتمةَ البئرِ القديمة
طمأنتُ نفسي:
مازالَ القعرُ بعيداً
ومعتماً بما يكفي
ضحيتي ترقدُ هناكَ
في الأسفلِ
لا خوفَ عليها
من التماعةٍ عابرةٍ
في عيونِ الغرباءِ

الخلاخيل

جمال مصطفى

قصيدة حبيبتي :
منقار السنونو
في باحة الماضي
يلتقط عنبر الذكرى
قصيدة زرقاء اليمامة :
كلما أسبل الهدب
صدّته
حتى وصلتْ الأشجار
قصيدة العرب :
حشائش من الزمرّد
وغزلان من الذعر
وقافية من الذئاب
قصيدة شهرزاد :
كمان كسروي
وقوس عبّاسي
وألف ضربة قوس وضربة
حتى استسلم التنّين
قصيدة الغموض :
قطيع يندلق على السفح
وكلب مرهف كالحذر
وليس هنالك من راعٍ
قصيدة الوضوم :
وراء السفح ينبوع
على حافة الينبوع جرّة
وليس هنالك من غزالة
مخلّفاً وراءه صحوننا الطائرة
قصيدة الحلم :
نظّارات سرعان ما تنكسر
نظّارات سرعان ما تتجدد
نظّارات لا تخلعنا حتى في النوم

شاعر عراقي مقيم في الدنمارك

قصائد الرحيل

عدنان الصائغ

ذئابٌ سودٌ
تتسلقُ ذاكرتي
تنهشُ جثثَ الأيامِ المنسية
في الأرضِ الحرامِ
وتتركني
-كلَ مساءٍ-
أعوي..
وحيداً
على ثلوجِ أوراقي
في منافي العالم
❖

أتطلعُ إلى صورِ الأصدقاءِ
في ألبومِ الحربِ
وأحصي: كم قنينةً
سكبتَ -هنا، على طاولتي-
فوقَ حفرِ مقابرهم
التي سُويتْ على عجل
❖

يا لحنيني
كلما فكرتُ في السفر
قفزَ من عيني
طفلانِ مخضلان، بالقرنفل والأسئلة
ووطنٌ، مدجج بالحراسِ
وامرأة، لا تدري
كيف تدبرُ مسواقَ البيتِ
.....
.....
كلما فكّرتُ في الغربة
سبقتني دموعي إلى الوطن
❖

نصفكَ: وطنٌ ضائعٌ في البارات
ونصفكَ الآخر: يهيء حقائبَه للسفر
يلتقي نصفاك، كعقربين في ساعة عاطلة
ويفترقان، كغريبين على أرصفةِ المَنافي الحَامضة
وأنتَ مسمرٌ إلى النافذة
لا تملك غير جوازِ سفرك المركون
...على الرفِ
تبيّضُ فيه إناثُ العناكب

شاعر عراقي مقيم في لندن

ليلة في غابة رافائيل ألبرتي الضائعة

موفق السواد

كأن لا هواء هناك
لا ضوء
سوى غابة ضائعة
ومنذ أمد بعيد
راحت تمسح الغبار
عن مصاطب عشاقها

١

أحدث نفسي عن نبال عجوز
وأملأ خاصرتي
بالنياشين

٢

أقترب من مغارة حافلة
بالخيول
وبيد ترتجف
أشير إلى رجلين
يدبران مؤامرة نحو الشمس

٣

هذا ما حدثني
رافائيل ألبرتي عنه
وهذا ما وجدته ذات مساء .
إلى الجنوبية التي أحب

شاعر عراقي من مدينة البصرة مقيم في هولندا .